هدايا امراء الدويلات الى الخلافة العباسية ومردوداتها الاقتصادية

د. ميسون هاشم مجيد (*)

تقديم:

تعد الهدايا جانباً اجتماعيا مهماً ومعروفاً بين الناس في المناسبات الخاصة اذ يتبادلون فيما بينهم هدايا مختلفة حسب امكانية الشخص تعبيراً عن الالفة والمحبة والتقارب حيث ترد الهدية بالمقابل بما يعادلها اويفوقها ويكون ذلك مدعاة للتواصل والترابط .

ولايجب أن يكون من وراء تقديم الهدية غاية خاصة والا انتفى الغرض منها واصبحت بحكم الرشوة فهي خالصة للتعبير عن المودة بصدق مجرد من اية منفعة .

اما الحديث عن هدايا خاصة من الخلفاء والولاة والملوك والامراء ورجال الحكم والدولة فالامر مختلف عما سبق حيث ان للهدايا دوراً كبيراً في تحريك الكثير من القضايا والمواقف وكسب الود والرضا والاعراب عن الولاء والطاعة ،فالهدايا التي تقدم للخليفة او الامير او الوالي من خاصته وحاشيته فتكون لتعزيز الولاء والطاعة ، اما مايقدم من عامة الناس فيكون اعرابا عن المحبة والاعتزاز .

ويختار من الهدايا التي تقدمن للخليفة عادة ما يكون غريباً وطريفاً ونادراً وقد تشكل بعضها قيمة مادية كبيرة من خلال كونها مصنوعة من الذهب او الفضة او محلاة بالجواهر والاحجار الكريمة او تكون خالصة

(*) استاذ مساعد /كلية الاداب /قسم التاريخ .

من الاحجار الكريمة النادرة والثمينة جداً وتعد بذلك مورداً مهماً من موارد بيت المال الخاص .

وقد حرص امراء الاطراف الذين يبغون اظهار الارتباط والـــولاء بدار الخليفة الى ارسال ماهو طريف وثمين اليها وكانوا يرسلون هدايا من البلاد التي يفتحونها في مناطق نفوذهم الى الخليفة باعتبار ان ما فتح هـــو باسم الخلافة، وعند قمع الانتفاضات والعصيان والتمردات عــن الخلافــة كانوا يرسلون مع الكتب التي تعلن القضاء عليــها اومــع رؤوس هــؤلاء الثوار الهدايا والتحف وهذا يزيد تأكيد ارتباطهم بالخلافة وذودهم عنها .

وهكذا فان الهدايا معروفة ومتداولة على الصعيد العام والخــــاص ولها ابعادها ومن هنا لابد من الوقوف على معناها وموقف القران والســنة منها .

اما تعريف الهدية فهو (الهبات " جمعها هبة " وهي مـــانتح الـــى الغير دون عوض وتسمى هدية وعطية ومنحة وجمعها هدايا) .(١)

وقد ورد ذكر الهدايا في القران الكريم اذ قال عزوجل في كتابــــه الكريم " واني مرسله اليهم بهدية فناظره بم يرجع المرسلون فلمـــا جـــاء سليمان قال اتمدونني بمال فما اتاني الله خير مما اتاكم بل انتـــم بـــهديتكم تفرحون " .(٢)

وكان رسول الله (ﷺ) يقبل الهديـــة ويرفــض الصدقــة حدثنـــا عبدالرحمن بن سلام الحجي حدثنا الربيع عن ابي هريرة (رضي الله عنه) (ان النبـــي (ﷺ) كان اذا اتى بطعام سأل عنه فان قيل هدية اكل منها وان قيل صدقـة لم يأكل منها قط) (٣).

وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت (كان النبي (ﷺ) يقبل الهدية ويثيب عليها) .(٤)

وقيل عن الهدايا الكثير فهي قرابة وصلة للرحم وهي تفتح الابواب الموصدة وتسل سخيمة القلب وتجلب المودة وتزرع المحبة وتنفي الضغينة والهدية تجعل البعيد قريباً والعدو صديقاً والثقيل خفيفاً(٥) .

وقيل في الهدايا الكثير من الامثال الطريفة ومنها " اذا قدمت من سفر فاهد لاهلك ولو حجر " ومن أقوال عبد الملك بن مروان في الهدايا "إن الهدية تدل على عقل مهديها" وقال الفضل بن سهل " ماسترضى الفتيان ولا استعطف السلطان ولا سلبت السخائم ولا دفعت المغارم ولا استميل المحبوب بمثل الهدية "(٦).

وقد عرفت الهدايا في التاريخ الإسلامي منذ عصر الرسول (ﷺ)إذ أرسل إليه المقوقس عامل الروم على مصر هدايا قيمة عندما أرسل اليه رسوله يدعوه للدخول الى الإسلام فعاد الرسول بجواب رسالته ومعه الهدايا ومنها جاريتان اختان هما ماريا وسيرين وبغله شهباء بسروجها ولجامها وحمار وفرس والف مثقال ذهب وعشرين ثوب من قباطي مصر وعسل.(٧)

واستمرت الهدايا بعد ذلك معروفة مداولة على مر التاريخ الإسلامي بين الخلفاء والولاة وبين الأمراء وكان لها مناسباتها الخاصة والعامة .

هدايا الخليفة الى الولاة والأمراء :

من المعروف ان الخليفة كان يتلقى الهدايا من الخاصة والعامة وفي المناسبات والاعياد الخاصة والعامة ايضا وفي نفس الوقت كان من العادة ان الخليفة يقوم ايضاً بتقديم الهدايا للعامة والخاصة ولامراء الاطراف والولاة والوزراء والحاشية .

وكان يخصص جزء من ميزانية الخلافة للهدايا و الهبات و هذا امر معروف فقد قدر علي بن عيسى ان تخصيص ميزانية الخلافة في عام (٣٠٦هـ-٩١٨م) كان لثلاثة اشهر حوالي احد وعشرين الف دينار وللعام كله مائتين واثنين وخمسين الف دينار .[٨]

وكان الخليفة يقدم هداياه لعماله على المناطق عندما يقوم بارسال عهود التولية لهم لتثبيتهم في مناطق حكمهم وبذلك يؤكد موافقته على تعيينهم خلفا للوالد او للاخ .

فقد ارسل عمرو بن الليث الصفار الى الخليفة المعتضد يسأل ان يوليه منطقة ما وراء النهر فارسل له الخليفة هداياه وهو في نيسابور فرفض ان يتسلمها ما لم يحصل على عهد التولية منه فكتب رسول الخليفة الى المكتفي بن المعتضد بذلك فارسل له العهد لتسلمها مع الهدايا التي ارسلت اليه [٩].

وفي عام (٢٨٨هـ-٩٠٠م) ارسل المعتضد مع رسول اسماعيل بن احمد الساماني هدايا وخلعا ثمينة منها تاج وسيف من ذهب وثلاثمائة الف درهم لتفريقها على الجيوش في خراسان[١٠] .

وهذا يدل على ارتباط اسماعيل الساماني مؤسس الدولة السامانية بالخلافة وان الخليفة ارسل اليه الاموال يفرقها على الجيش لانه يذود عن الخلافة ويوطد نفوذها في تلك المناطق.

وفي عام (٢٩٠هـ-٩٠٢م) ارسل المكتفي رسوله الى اسماعيل بن احمد الساماني ومعه الهدايا والخلع واعطاه ولاية الري [١١].

وفي عام (٣٦٧هـ-٩٧٧م) خلع الخليفة الطائع على عضد الدولة الخلع السنية والاسورة والطوق واعطاه لواءين احدهما من ذهب والاخر فضة وارسل له التحف ,الهدايا مع عهد التولية[١٢] .

وفي حالة تجديد عهد التولية كان الخليفة يمنح الهدايا والخلع ايضا ففي عام (٣٦٩هـ-٩٧٩م) طلب عضد الدولة من الخليفة الطائع ان يجدد الخلع والهدايا فاجابه الى طلبه وخلع عليه انواع الخلع والملابس حتى انها اعاقته عن تقبيل الارض بين يدي الخليفة(١٣).

وعندما دخل طغرلبك بغداد عام (٤٤٧هـ-١٠٥٥م) ارسل الخليفة القائم الهدايا والخلع والاموال (١٤).

ولم تقتصر هداي الخلفاء على الخاصة فقط بل كان من عادة الخلفاء تقديم الهدايا للعامة ايضاً في المنسابات والاعياد وكان النوروز في هذه المناسبات التي كان الخليفة يفرق الهدايا على عامته ومنها صور مصنوعة من العنبر والورد الاحمر (١٥).

هدايا الامراء والولاة الى الخلفاء:

ان ارسال الهدايا من الولاة والامراء الى الخليفة كان له اسبابه ومناسباته اذ تقدم الهدايا في الاعياد والمناسبات الخاصة والعامة وعند تولي الخلافة وعند العودة من الحج وعند الزواج والولاة والاحتجام كما تقدم في الاعياد الدينية وفي النيروز والمهرجان وغيرها من المناسبات الكثيرة .

كما كان الوالي او الامير يرسل الهدية الى الخليفة اعرباً عن طاعته وولائه او انه يرسلها من المناطق التي يقوم بفتحها باسم الخلافة تأكيداً للارتباط والتبعية للخلافة .

ففي عام (٩٦هـ-٧١٥م) ارسل طارق بن زياد الى الوليد بن عبد الملك هدية من بلاد الاندلس عبارة عن مائدة هي خليط من الذهب والفضة مرصعة بالجواهر (١٦).

وفي عام (٢٥٥هـ-٨٦٨م) استولى يعقوب بن الليث على كرمان وفارس ودخل شيراز وكتب للخليفة المعتز يعلمه بذلك وارسل له مع الكتاب هدايا بضمنها عشرة بزات بيض ومئة من من المسك كما ارسل له في العام (٢٥٧هـ-٨٧٠م) هدايا وتحفاً واصناماً من بلخ وكابل بعد ان تمكن من فتح هذه المناطق [١٧].

وعندما استولى محمود الغزنوي على خراسان من يد السامانيين اقام الخطبة للخليفة القادر وارسل له الهدايا والتحف بضمنها خمسة فيلة وطلب منه عهد التولية عليها [١٨].

وعندما توجه بجهوده لفتح بلاد الهند كان يؤكد انه يفتح البلاد باسم الخلافة بارساله الهدايا والعرض الثمينة من كل بلد يفتحه وقد سار ابنه مسعود على اسلوبه ذاته [١٩].

ومن المعروف ان فتح اية منطقة لايتم الا باستئذان الخلافة وموافقة الخليفة اذا ارسل عمرو بن الليث الصفار الى الموفق يستأذنه بغزو رامهرمز وارسل مع طلبه الهدايا وهي عبارة عن ثلثمائة الف دينار وخمسين مَن من المسك والعنبر ومائتي عود ومعها اوان من الذهب والفضة والجواري والخيول [٢٠].

ومن المناسبات التي يغتنمها الولاة لارسال الهدايا قمع الانتفاضات والعصيان والقضاء على الخارجين عن الخلافة فيرسلون الى الخليفة الكتب لاعلامه بذلك واحيانا رؤوس هؤلاء الخارجين ومعها الهدايا .

ففي عام (٢٢٤هـ-٨٣٨م) تمكن عبد الله بن طاهر من القضاء على المازيار بن قارن وارسله الى المعتصم بالله ومعه الكثير من الاموال والجواهر والذهب والثياب [٢١].

كما ارسل نصر الساماني في عام (٣٣٠هـ-٩٤١م) الى الخليفة راس احد ثوار الديلم ومعه الهدايا الكثيرة [٢٢].

وتأكيدا للعلاقات الايجابية الطيبة كان الامراء يهدون الخليفة الهدايا الثمينة بعدان يخلع عليهم ويمنحهم الامتيازات والالقاب الفخرية .

ففي عام (٣٦٧هـ-٩٧٧م) اهدى عضد الدولة الى الخليفة الطائع بعد ان خلع عليه ومنحه لقب تاج الملك هدايا كثيرة منها خمسون الف دينار عمانية وعشرة اكياس ديباج وخمسمائة ثوب من الديباج وثلاثون صينية مذهبة وغير مذهبة فيها العنبر والمسك والكافور وغيرها من الهدايا[٢٣].

هدايا غريبة وطريفة:

ومن المعروف ان الهدايا التي كانت ترسل الى دار الخلافة كان ينتقى منها كل ماهو غريب ونادر والذي يبعث السرور والبهجة والاستغراب والتي تعطي انطباعا حسنا لندرتها وفيها ما يشكل قيمة مادية لندرته وطرافته ويتسابق الامراء في انتقاء هذه النوادر لارسالها الى الخليفة حتى ان بعض هذه الهدايا كانت تعرض على الناس لمشاهدتها بوصفها اشياء غريبة ونادرة.

فقد اهدى عوف العبادي صاحب الحيرة الى الرشيد سمكة منعوته بالسمن وضعت في محبس.[٢٤]

واهدى بودلف القاسم بن عيسى العجلي الى المأمون في يوم المهرجان مئة حمل زعفران على شبك ابريسم على مئة اتان شهباء وحشيه .[٢٥]

وقدم طاهر بن الحسين هدية الى المأمون عبارة عن قطعة من الزمرد غريبة من الهند فصنعوا له منها كأساً غريب الشكل ايضاً .[٢٦]

واهدى الحسن بن سهل الى المعتصم في خلافة المأمون عام (٢١٧هـ-٨٣٢م) الف طبق خزرية وكيماكية وتغزغزية وحبات ختو عجيبة بازهر طائلة[٢٧] .

ومن غريب الهدايا ما قدمه صاحب السند موسى بن عمر بن عبد العزيز الهباري الى المعتمد عام (٢٧١هـ-٨٨٤م) فيل غريب الخلقة كبير الحجم وجمال موالح واصنام من فضة وظباء تشبه البقر وسرير عود وغيرها من الطرائف .[٢٨]

وفي عام (٢٧٣هـ-٨٨٦م) وردت الى دار الخلافة هدايا من ملكه الفرنجة منها مضرب حرير يتلون بجميع الالوان في كل ساعة وثلاثة طيور تصدر اصواتاً غريبة اذا وضع امامها طعاماً مسموماً وعشرة كلاب فخمة اقوى من السباع[٢٩].

ومن الهدايا التي ارسلها يعقوب بن الليث الصفار الى المعتمد بلزاً ابلق عجيباً وهدايا من طرائف الصين .[٣٠]

وعندما قدم ابن الجصاص الى مصر رسولاً من خمازويه الخليفة المعتضد كانت معه هدايا بضمنها صندوقان يحويان غرائب التحف وزرافة كما ارسلت من مصر هدايا غريبة في عام (٢٩٩هـ-٩١١م) تيس له ضرع يحلب اللبن .[٣١]

ومن غرائب ما ارسل الى دجار الخلافة ما ارسله ابن ابي الساج وهو فرش ارمني في بساط يبلغ طوله سبعون ذراعاً وعرضه ستون ذراعاً وقد استغرق صنعه عشر سنين .[٣١]

وارسل احمد بن هلال صاحب عمان الى المقتدر في عام (٣٠٥هـ-٩١٧م) طائراً اسود فصيح كالببغاء يتكلم الفارسية والهندية ظباء سوداً وغيراها من طرائف البحر .[٣٣]

وفي عام (٣١٠هـ-٩٢٢م) وصلت الى دار الخلافة هدية ابن الماردائي الحسين بن احمد في مصر وهي عبارة عن بغلة وفلو وغلام طويل اللسان يصل طرف لسانه الى انفه [٣٤].

واهدى توزون الى المستكفي سمكة تزن اربعمائة رطل .[٣٥]

وفي عام (٣٥٩هـ-٩٦٩م) ارسل صاحب اليمن الى الخلافة دفلى من عود قماري طوله عشرة اذرع وقشرة بيضة حية تسع عشرة رطل بغدادي وببغاء بيضاء منقارها ورجلاها سود وعلى رأسها ذوابه فستقية اللون واغنام لها غبب وحمارة وحشية كبيرة الحجم مدورة الكفل كبيرة الاذان وجميع جسمها مخطط بشكل غريب وجميل وكانت هذه الحمارة الغريبة من الحبشة .[٣٦]

وفي الغرائب التي وصلت الى الخليفة الناصر لدين الله من الهند ببغاء تقرأ " قل هو الله احد ... " .[٣٧]

هكذا فقد جرت العادة على ارسال الهدايا الغريبة والطريفة الى الخليفة وكل ما هو خارج عن المألوف في المناسبات الخاصة والعامة .

هدايا مما تشتهر به البلاد :

وقد جرت العادة ايضا على ارسال الهدايا الى دار الخلافة من ارجاء العالم الاسلامي ومما اشتهرت به كل منطقة فبعد ان انتشر الاسلام ودانت به الكثير من البلاد اصبحت تابعة لدار الخلافة كانت هذه البلاد كما هو معروف في مناطق متنوعة ومختلفة الانتاج ومنها ما تشتهر بطرائف

غريبة دون غيرها فكان يرسل الى دار الخلافة ، من هذه المناطق كل ما هو معروف ما تشتهر به دون غيرها .

فيذكر الابشيهي انه اهدى الى سليمان بن داؤد (عليه السلام) فيلة من بلاد الهند وجارية من الترك وفرس من العرب وجوهر من الصين ودرة من ملك البحر واستبرق من ملك الروم .[٣٨]

وكان يرسل الى دار الخلافة ما تشتهر به بلاد ما وراء النهر من الرقيق والنشادر والمسك والزعفران والسمور والسنجار والثعالب والخثور والبزاة .[٣٩]

وكان يرسل من بلاد فارس ما كانت تشتهر به من الثياب التوزية ماء الورد الجوري والاكسية والزبيب الاسود والانجباب والطين السيرافي والحلنجبين والموميا وكان يرسل من اصبهان العسل والشمع ومن الري الرمان والخوخ المقدد .[٤٠]

ومن الاهواز كان يرسل سنوياً الى دار الخلافة خمسون الف رطل من السكر العسكري .[٤١]

وكان يصل الى الخليفة من منطقة الجبال ما تشتهر به من الابريسم والوشي والعتابي والقطن ومن مدينة نيسابور الثياب الفاخرة التي تصنع ممن القطن والقز وكان مفضلاً لدى الخلفاء والامراء ويستخدم لكسوتهم .[٤٢]

ومن تستر كان يرسل الى دار الخلافة الديباج الذي تشتهر به ويستخدم لعمل كسوة الكعبة .[٤٣]

ويصل الى دار الخلافة ما تشتهر به الاندلس من فرش وثياب وخز ورقيق وخدم .[٤٤]

وترسل خراسان الى الخلافة الفرش الطبري الذي اشتهرت به .[٤٥]

هدايا الطيب والعطور :-

من المعروف ان الاسلام دين النظافة والتطيب فمن الامور المستحبة ان ترسل الى دار الخلافة من الهدايا العطور والمسك والكافور وغيرها والتي تليق بالخلفاء والامراء والتي تعتبر من النوع النادر والغريب ايضا .

فقد اهدى عبد الله بن جعفر الى الخليفة معاوية بن ابي سفيان قارورة من العطر يسمى الغالية .(٤٦)

واهدى حسان القبطي الى هشام بن عبد الملك عطورا لنساؤه واولاده .(٤٧)

واهدى معن بن زائدة امير اليمن الى ابو جعفر المنصور في عام (١٤٢هـ-٧٥٩م) عطورا ثمينة .(٤٨)

كما اهدى ملك الروم الى الخليفة المأمون مائتي من من المسك .(٤٩)

واهدى يعقوب بن الليث الصفار الى المعتمد مئة من من المسك ومثلها من العود .(٥٠)

وارسل الى الخليفة المعتز في عام (٢٥٥هـ-٨٦٨م) هدية بضمنها المسك .(٥١)

وبعث عمرو بن الليث الصفار الى الموفق خمسين منا من المسك ومثلها من العنبر ومائتين من العود .(٥٢)

كما ارسل احمد بن اسماعيل الساماني الى المقتدر في عام (٢٩٨هـ-٩١٠م) هدايا من جملتها المسك .(٥٣)

هدايا الخيول :-

كانت هدايا الخيول معروفة منذ القديم وكانت ترسل الى الخلفاء الخيول الاصيلة والغريبة .

فقد اهدى عمرو بن العاص الى معاوية بن ابي سفيان ثلاثين فرساً من اسرع الخيول في مصر كما اهدى الحجاج بن يوسف الثقفي الى عبد الملك بن مروان فرساً نادرة .(٥٤)

واهدى عبد الله بن طاهر الى المأمون فرساً وكتب اليه فيها " قد بعثت الى امير المؤمنين بفرس يلحق الارانب في الصعداء ويجاوز الظباء في الاستواء ويسبق في الحدور جري الماء " .(٥٥)

كما اهدى عمرو بن الليث الصفار الى الخليفة المعتضد بالله سنة (٢٨٠هـ-٨٩٣م) مئة شهري بسروجها ولجمها عشرة منها كانت بسروج ذهب .(٥٦)

كما ارسل اليه في عام (٢٨٣هـ-٨٩٦م) مائة دابة من مهازي خراسان .(٥٧)

وفي عام (٢٩٥هـ-٩٠٧م) وردت هدايا زيادة الله بن عبدالله بن الاغلب امير افريقيا الى مدينة السلام وبضمنها مائة من الخيل الغريبة.(٥٨)

وارسل احمد بن اسماعيل الساماني في عام(٢٩٨هـ-٩١٠م) الى الخليفة المقتدر هدايا من خراسان ومنها علماً على دوابهم وخيولهم .(٥٩)

كما كانت ترسل اضافة الى الخيول والدواب النياق والبقر وغيرها. ففي عام (٢٤٤هـ-٨٥٨م) عندما رجع المتوكل عن دمشق الى سرمن راى اهداه مالك بن طوق امير الرحبة مئتي ناقة ومائتي بقرة والف

شاة وعشرين مهر وعشرين فرس اصيلة ومائتي وخمسين دراج و مائتي طير .[٦٠]

هدايا الغلمان والجواري :-

ومن الهدايا التي كانت ترسل الى الخلفاء والامراء الغلمان والجواري و المماليك وخصوصا ما كان منها منم اصول نادرة ويتقن امورا غريبة .

وقد سبق ذكره ان المقوقس اهدى الى الرسول (ﷺ) اربع جوار احداهن مارية ام ابراهيم والاخرى سيرين التي وهبها لحسان بن ثابت وغلام اسود خصي اسمه مابور .[٦١]

واهدى عبيدة بن عبد الرحمن القيس والي افريقيا والمغرب الى هشام بن عبد الملك عام (١١٤هـ-٧٣٢م) عشرين الفا عبد وامة ومن صفايا الجواري سبعمائة جارية ومثلها من الخصيان .[٦٢]

وعندما آلت الخلافة الى المتوكل اهدى اليه ابن طاهر هدية بضمنها مائتا وصيف ووصيفة ومعهم جارية تدعى محبوبة كان صاحبها من اهل الطائف وقد علمها فنون الادب والعلم وكل مابرع به العلماء فستحسنها المتوكل واصبحت لها مكانة عنده .[٦٣]

واهدى ابراهيم بن المهدي الى المأمون جارية تتقن الغناء ومعها عبد هندي في محاولة لازالة الخلاف والفتور فيما بينهما كما اهداه جارية عندما افتصد .[٦٤]

وكان ابو احمد بن طولون احد الموالي لدى نوع بن اسد اسلماني عامل بخارى وخراسان فاهداه نوح مع مماليك الى المأمون فرقاه وقربه

وولده له احمد في سامراء [٦٥]، واحمد هو مؤسس الدولة الطولونية في مصر عام (٢٥٤هـ-٢٩٢م).

وفي عام (٢٩٥هـ-٩٠٧م) وصلت الى بغداد هدايا ابن الاغلب امير ارفريقيا ومعها مائتي خادم اسود وابيض ومائة وخمسون جارية .[٦٦]

وبعث طغرلبك الى الخليفة خمسين مملوكا من الاتراك مع خيولهم وسلاحهم وثيابهم .[٦٧]

هدايا ذات مردودات اقتصادية للدولة :-

ان اغلب ما ذكر من هدايا فيما سبق يشكل موردا ماديا للدولة بحسب قيمتها واهميتها الا ان هناك هدايا تشكل مردودا ماديا هاما للدولة وخصة ما كان يقدم كاموال واحجار كريمة وذهب وفضة من قبل الدريلات والمناطق التابعة للخلافة وكانت هذه الدويلات ترسل هذه الهدايا القيمة اعرابا عن ارتباطها بالخلافة وتشكل في الوقت ذاته قوة لاقتصاد الدولة .

ففي عام (٦٥هـ-٦٨٤م) عندما رجع سالم بن زياد في خراسان وكان واليا عليها من كاتبه ان يزن الاموال التي معه فوزن له اثني عشر الف الف مثقال فطلب منه ان يحفظه واكد له بان هذه الاموال لم تجمع عن طريق القوة او ان احد المسلمين اجبر على دفعها او اخذت قهرا بل انها عبارة عن هدايا العمال واهل الكور والدهاقين .[٦٨]

وكانت الهدايا النفيسة التي تتضمن الذهب والفضة والاحجار الكريمة تشكل قيمة مادية كبيرة لخزين الدولة وبيت المال .

فقد اهدي الى الخليفة الاموي هشام بن عبد الملك والي افريقيا عبيدة بن عبد الرحمن القيسي من الذهب والفضة ما لايمكن احصاؤه .[٦٩]

كما بعث اليه عمر بن يوسف الثقفي بياقوتة حمـــراء كبـــيرة لـــم يحتويها كفه وحبة لؤلؤة غريبة وكبيرة ايضا .[٧٠]

واهدى ملك الهند الى الجنيد بن عبد الرحمن والي السند في خلافة هشام بن عبد الملك ناقة مرصعة بالجواهر ملئت اخلافها باللؤلؤ ووضـــع على نحرها ياقوت احمر موضوعة على محمل من فضة فارسلها الجنيـــد بدوره الى الخليفة .[٧١]

واهدى حسان النبطي الى هشام بن عبد الملك ايضا هدايا قيمة من الجواهر والكساء وغيرها فاستكثرها الخليفة وقال بيت المال اخـــف بـــها حيث قدرت قيمتها بمائة الف دينار .[٧٢]

ومن الهدايا القيمة التي ارسلت الى المتوكل جام من الذهـــب فيـــه الف مثقال من العنبر من الحسن بن وهب واهدى له في نوروز ثوب وشي منسوج بالذهب وقسمه عنبر عليها خصوص جوهر مشبك بالذهب .[٧٣]

وعندما استقامت امور الخلافة للمأمون قدم ملوك الاطراف الـــى دار الخلافة الهدايا اذ ارسل ملك انثبت الى المأمون صنما من ذهب علـــى سرير من ذهب مرصع بالجواهر فارسله المأمون الى الكعبة .[٧٤]

كما اهدى احمد بن ابي سنة الى المأمون خوانا من جزع وعليـــه ميل من ذهب .[٧٥]

وعندما قدم من خرسان بعد ان اصبح خليفة اهدى اليه الفضل بـــن الربيع فص ياقوت وصف بانه لم يرى .[٧٦]

وقدمت هدايا يعقوب بن الليث الصفار الى الخليفة المعتمد بضمنـها مسجد فضة يتسع لخمسة عشر شخصا واربعة الاف الف درهم .[٧٧]

كما اهدى احمد بن طولون الى المعتمد ايضا من خراج مصر الف الف دينار ومائتي الف دينار ومعها الرقيق وطرائف مصر .

واهـدى عمـرو بـن الليـث الصفـار الـى المعتضـد عـام (٢٨٠هـ-٨٩٣م) هدايا قيمتها اربعة الف الـف درهـم ومئـة شـهري بسروجها ولحمها ومنها عشرة بسروج ذهب .[٧٨]

كما بعث اليه في عام (٢٨٣هـ-٨٩٦م) بمائتي حمل من الاموال .[٧٩]

واهدى اليه في العام نفسه هدايا شكلت قيمة مادية كبيرة اذا ارسل له تمثالا من صفر على هيئة امراه لها اربعة ايد وعليها وشاحان من فضة مرصعان بالجوهر الاحمر والابيض وبين ايديها اصنام صغار عليها الحلي والجواهر وكان هذا التمثال من احد المدن التي فتحها عمـرو فـي بـلاد الهند.[٨٠]

وارسل خمارويه رسوله من مصر الى الخليفة المعتضد وكان معه هدايا عبارة عن عشرين حملا من جملتها عشرون نجيبا بسروج محـلاة ومعهم جرار فضة وسبع عشرة دابة بشروج ولجم منـها خمسـة ذهـب والباقي فضة .[٨١]

وقد وردت رسل اسماعيل الساماني بهدايا الى دار الخلافة في عام (٢٩٨هـ-٩١٠م) وبضمنها فرش طبري مذهب وخمس برانـي فضـة وعشرون حبة ختو وثلاثون رمحا فضيا .[٨٢]

كما وردت الى دار الخلافة من احمد بن اسماعيل الساماني هدايـا تتضمن مدية مرصعة بالجواهر وتاج ومناطق وربعـة ذهـب مرصعـة بالجواهر ايضا .[٨٣]

وارسل طغرلبك الى الخليفة هدايا بعد التقليد وتضمنـت خمسـون الف دينار .[٨٤]

وكانت هدايا خوارزم في كل سنة الى دار الخلافة ثمينـة وقيمـة وكان يرسل معها سكينا نصاله بياقوت احمر .[٨٥]

واهدى المعزبن باديس صاحب القيروان الى الخليفة المستنصر بالله هدية قدرت باربعين الف دينار من جملتها ورقة مكللة بالجواهر كانت للمهدي بالله بالمغرب .(٨٦)

ان هذه الهدايا كانت تشكل قيمة مادية كبيرة كما سبق ذكره بالنسبة الى دار الخلافة ولهذا نلاحظ ان البعض من هذه الامارات عندما كانت تتوتر العلاقة بينها وبين دار الخلافة او تعلن العصيان تقوم بالتوقف عن ارسال الخراج وما مفروض عليها من التزامات بضمنها الهدايا فكان هذا يعني ان خزينة الخلافة تتأثر بذلك وقد كان هذا من جملة الاسباب التي ادت الى سوء الاوضاع الاقتصادية في بغداد في العصور العباسية المتأخرة عندما انفصلت الدويلات عنها وما نتج عن ذلك من تردي اوضاعها السياسية وسيطرة العناصر الاجنبية عليها وهذا يوضح ان هذه الهدايا كانت لها قيمتها على خزانة الدولة خاصة ما كان منها ذا قيمة مادية كبيرة .

ولابد هنا ان نذكر ان الهدايا لم تكن كلها تعني القيمة المادية الكبيرة بل كان هناك استثناء في هذا الامر فقد ترسل الهدايا التي تشكل قيمة معنوية اكثر منها مادية .

اذ اهدى الى دار الخلافة في عام (٤٥٩هـ-١٠٦٦م) من شرف الملك مصحف جليل وقطعه بلخش في منديل .(٨٧)

كما كان يهدى للخلفاء ما يستهويهم ايضا فقد اهدى الى سليمان بن عبد الملك الذي عرف عنه اقباله على الاطعمة في عام (٩٧هـ-٧١٥م) عندما حج من خارجه بن زيد بن ثابت الف غدق موز والف قرعه عسل ابيض والف دجاجة والف شاة .(٨٨)

واهدي الى المتوكل في عام (٢٤٤هـ-٨٥٨م) من مالك بن طوق امير الرحبة الفي شدة من انواع الفاكهة .(٨٩)

وكانت الهدايا ترسل ايضا الى الوزراء او امير الامراء فيتحفظ من قبولها تأدبا من الخليفة .

فقد ارسل الاخشيد محمد بن طفج الى المتقي وابن رائق هدايا وبعد ان قتل ابن رائق تسلم ابن حمدان الهدايا من الرحبة وبعثهم جميعا الى المتقي فارسل له الخليفة الهدايا وامره ان يأخذ منها مايريد وان يأخذ ما كان لابن رائق فابى ناصر الدولة ابن حمدان ان يأخذ شيئا منها عدا سفطين فيهما كسوة النساء وثياب بيض فقط .(٩٠)

وفي خلافة المستعصم بالله اهدى صاحب الموصل في عام (٦٤٠هـ-١٢٤٢م) هدية تشتمل على كتب ولطائف الى وزيره مؤيد الدين حملها الى الخليفة جميعا فقبلها منه اهداه عوضا عنها من لطائف بغداد ما قيمته اثنا عشر الف دينار .(٩١)

هكذا نلاحظ ما كان للهدايا من مكانة في مجتمع الخاصة وما كانت عليه اساليبها ورسمها ومناسباتها في الوقت الذي تشكل عند العامة ظاهرة محببة بسيطة للتقارب والتآلف تحوي مضامينها بين الخاصة بتمرير الكثير من المشاريع التوسعية والاطماع والطموحات وما الى ذلك او الرغبة في الحصول على مناطق نفوذ وعندما اصبحت الخلافة من الوهن والضعف على درجة كبيرة كان للخليفة يتقرب الى امير الامراء باخفاء الخلع والهدايا عليه . الا ان هذا لايمنع ان تكون بعض هذه الهدايا بسيطة ومعبرة حتى عند الخاصة فقد تكون مجرد ابيات من الشعر الجميل او كتابا او اقلاما وما الى ذلك .

هوامش البحث:-

١. ١.ابن منظور : جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري (ت٧١١هـ-١٣١١م) / لسان العرب (بيروت :١٩٥٥، ٢٣٣/٢٠).

٢. سورة النحل : الاية ٣٥-٣٦.

٣. النيسابوري: ابو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت٢٦١٢هـ)،صحيح مسلم: (القاهرة :١٩٥٥) :٧٥٦/٢.

٤. منصور ناصيف : الجامع للاصول في احاديث الرسول ، (القاهرة :١٩٦١م)،٢٣٨/٢.

٥. الجاحظ: ابو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ-٨٦٨م) المحسان والاضداد تحقيق فوزي علوي ،(بيروت :١٩٦٩م)،ص٢١٤-٢١٥.

٦. الابشيهي: شهاب الدين محمد بن احمد ابن الفتح (ت ٨٥٠هـ)،المستطرق في كل فن مستظرف،(القاهرة:١٩٥٢)،ص٥٩-٦٢.

٧. ابن الاثير : الكامل في التاريخ ،(بيروت :١٩٦٥)،٢١٠/٢،ابن كثير البداية والنهاية ،٢٧٢/٤-٢٧٣.

٨. العبابي : ابو الحسين هلال بن المحسن (ت٣٥٩هـ) رسوم دار الخلافة (بغداد :١٩٦٤)،ص٢٥-٢٦.

٩. ابن خلكان : ابو العباس شمس الدين بن احمد (ت٦٨١هـ-١٢٨٢م)وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، (بيروت :بلا) ، ٤٢٥/٦.

١٠. الطبري : ابو جعفر بن جرير (ت٣١٠هـ-٩٢٢م) ، تاريخ الرسل والملوك تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، (مصر :١٩٦٨)،٨٤/١٠.

١١. المصر نفسه والجزء ،ص٩٧.

١٢. ابن كثير :عماد الدين ابي الفداء اسماعيل بن عمر(ت ٧٧٤هـ-١٣٧٢م)، البداية و النهاية ،(القاهرة :١٩٣٢)،١١/٢٨٩ .

١٣. المصدر نفسه والجزء ،ص٢٩٥.

١٤. الراوندي : محمد بن علي بن اسماعيل (ت٥٩٩هـ-١٢٠٢م) راحة الصدور و آية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية نقله الى العربية ابراهيم امين الشواربي (القاهرة:١٩٦٠)،ص١٧٠.

١٥. الشابشتي :ابو الحسن علي بن محمد (ت٣٨٨هـ-٩٩٨م)، الديارات ، تحقيق كوركيس عواد (بغداد:١٩٦٦) ،ص٢٢.

١٦. البيروني : ابو الريحان محمد بن احمد (ت٤٤٠هـ-١٠٤٨م) ، الجماهر في معرفة الجواهر (القاهرة :بلا)،ص٦٩.

١٧. ابن خلكان : وفيات ،٦/٤٠٥، ابن الوردي: زين الدين عمر بن مظفر (ت٧٤٩هـ-١٣٤٨م)، تاريخ ابن الوردي،(النجف:١٩٦٩)،١/٣١٩ .

١٨. ابن الجوزي :ابو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ-١١٢٧م) المنتظم في تاريخ الملوك والامم،(حيدر اباد:١٣٥٧هـ)،٨/٥٢.

١٩. ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد ،(ت٨٠٨هـ-١٤٠٥م)، تاريخ ابن خلدون (سنة الطبع :١٩٧١)،٣/٣٣٤.

٢٠. المصدر نفسه والجزء والصفحة .

٢١. ابن كثير : البداية والنهاية ،١٠/٢٨٩.

٢٢. مؤلف مجهول : العيون والحدائق في اخبار الحقائق،تحقيق نبيلة عبد المنعم (النجف :١٩٧٢)،ص١٩١.

٢٣. العابي: رسوم دار الخلافة ،ص١٠٠-١٠٢.

٢٤. المسعودي: ابي الحسن علي بن الحسن (ت٣٤٦هـ-٩٥٧م)،مروج الذهب ومعادن الجوهر (بيروت:١٩٨١)،٣٤٤/٣.

٢٥. ابن لزبير : القاضي الرشيد (ق٥هـ)، الذخائر والتحف ، حققه محمد حميد الله ،(الكويت :١٠٥٩) ،ص٢٨.

٢٦. البيروني : الجماهر ،ص١٦٩.

٢٧. ابن الزبير ، المصدر السابق ،ص٣٦-٣٧.

٢٨. المصدر نفسه ،ص٣٧.

٢٩. الابشيهي ، المستطرف ،ص٦٠.

٣٠. المصدر نفسه والصفحة .

٣١. ابن الجوزي ، المنتظم،١٣٨/٥.

٣٢. المصدر نفسه ، الجزء ٦ ص١١٠.

٣٣. المصدر نفسه والجزء ص١٤٥.

٣٤. المصدر نفسه والجزء ص١٦٧.

٣٥. مؤلف مجهول ، المصدر السابق ،ص٤٢٢.

٣٦. ابن الزبير ، المصدر السابق،ص٦٦-٦٧.

٣٧. السيوطي، تاريخ الخلفاء ،ص٤٤٩.

٣٨. الابشيهي، المستطرف،ص٦٠.

٣٩. ابن حوقل : ابو القاسم النصيبي (ت٣٦٧هـ-٩٧٧م) ، صورة الارض ،(بيروت:بلا)،ص٣٨٥.

٤٠. المصدر نفسه ،ص١٨٠-١٨٥

٤١. الثعالبي: ابومنصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (ت٤٢٩هـ-١٠٣٧م)، لطائف المعارف : تحقيق ابراهيم الابياري، (القاهرة :بلا)،ص١٧٤.

٤٢. ابن حوقل :سورة الارض،ص٣٠٩-٣٦٣.

٤٣. المصدر نفسه ،ص٢٣١.

٤٤. ابن الزبير :المصدر السابق،ص٨١.

٤٥. المصدر نفسه ،ص٥٩.

٤٦. الابشيهي، المستطرف،ص٦٠.

٤٧. ابن لزبير ، الذخائر ،ص١٥.

٤٨. المصدر نفسه،ص١٦-١٧.

٤٩. السيوطي، تاريخ الخلفاء ،ص٣٢٥.

٥٠. القرفاني : احمد بن يوسف الدمشقي ، (ت١٠١٩هـ-١٦١٠م) ، اخبار الدول و اثار الاول ،(بيروت:بلا)،ص٤٠٩.

٥١. الطبري ، تاريخ ،٩/٣٨٦.

٥٢. ابن خلدون : تاريخ ،٣/٣٣٤.

٥٣. غريب القرطبي ، صلة تاريخ الطبري المجلد الحادي عشر ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ،(القاهرة :بلا)،ص٣٨.

٥٤. القيرواني:ابو اسحاق ابراهيم بن علي الخضري، (ت٤٥٣هـ-١٠٦١م)، زهر الاداب وتمر الالباب ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، (بيروت:١٩٧٢)،٢/١٩-٢١.

٥٥. المصدر نفسه و الجزء ،ص٣٥٧.

٥٦. ابن الزبير : المصدر السابق،ص٣٩-٤٠.

٥٧. المسعودي : مروج،٤/١٤٨.

٥٨. المصدر نفسه و الجزء،ص٢٠٠.

٥٩. عريب ،صلة،ص٣٨.

٦٠. ابن الزبير ، الذخائر ،ص٣٠.

٦١. ابن كثير :البداية والنهاية ،٤/٢٧٢-٢٧٣.

٦٢. ابن الزبير : المصدر السابق ،ص١٥.

٦٣. المسعودي:مروج،٤/٤٢.

٦٤. الجاحظ، المحاسن والاضداد،ص٢٢١.

٦٥. المقريزي : تقي الدين احمد بن علي (ت٨٤٤هـ-١٤٤١م)، النقود والاسلامية المسمى بشذور العقود في ذكر النقود ، الطبعة الخامسة ١٩٦٧،ص٢٢٤.

٦٦. المسعودي :مروج،٤/٢٠٠-٢٠١.

٦٧. ابن الاثير : الكامل ،٩/٦٣٤، ابو الفدا : المختصر ،٤/٨٠.

٦٨. ابن الزبير : الذخائر ،ص١١.

٦٩. المصدر نفسه ،ص١٦.

٧٠. المصدر نفسه والصفحة .

٧١. المصدر نفسه ، ص١٥.

٧٢. الجاحظ، المحاسن والاضداد،ص٢١٧.

٧٣. الجاحظ، المحسان والاضداد،ص٢١٨.

٧٤. اليعقوبي ، تاريخ ،٢/٤٥٢.

٧٥. ابن الزبير : الذخائر ،ص١٩.

٧٦. البيروني : الجماهير ، ص٦٥.

٧٧. الابشيهي : المستطرف ، ص٦٠، ابن الزبير : الذخائر ،ص٣٩.

٧٨. ابن الزبير : المصر السابق ،ص٣٧،٧٨م

٧٩. المصدر نفسه ،ص٣٩.

٨٠. الذهبي : دول الاسلام ،١/١٧١،الحنبلي:شذرات الذهب ،٢/١٨٢.

٨١. المسعودي :مروج الذهب ،٤/١٤٨-١٤٩.

٨٢. ابن الجوزي : المنتظم ،١٣٨/٥.

٨٣. ابن الزبير : الذخائر ،ص٥٩.

٨٤. ابن الجوزي : المنتظم ،١١٠/٦.

٨٥. البيروني : الجماهر ،ص٥٦.

٨٦. ابن الزبير : الذخائر ،ص٧٦.

٨٧. المسعودي : مروج الذهب ،٣٤٤/٣.

٨٨. البنداري : تاريخ دولة ال سلجوق ، القاهرة : ١٩٠٠م)/ص٣١.

٨٩. ابن الزبير : الذخائر ،ص١١.

٩٠. المصدر نفسه ،ص٣٠.

٩١. مؤلف مجهول : العيون و الحدائق،٣٧٥.

٩٢. ابن الطقطقي : محمد بن علي بن طباطبا (ت٧٠٩هـــ-١٣٠٩م) ، الفخري في الاداب السلطانية ،(بيروت:بلا)،ص٣٣٨.